

العدول التركيبي وأثره في الخطاب القرآني (التقديم والتأخير، والحذف، أنموذجا)

Structural deviation and its effect on the Qur'anic discourse.
(Anastrophe and ellipsis as an example)أم الخير قربة¹، أبو بكر بوقرين²¹ جامعة عمار ثليجي بالأغواط (الجزائر)، o.kroba@lagh-univ.dz² جامعة عمار ثليجي بالأغواط (الجزائر)، ak.bougrine@lagh-univ.dz

مخبر اللسانيات التقابلية وخصائص اللغات

تاريخ الاستلام: 2024-10-30 تاريخ القبول: 2024-11-22 تاريخ النشر: 2024-12-18

مَلِكُ خَلْدٍ لِبَيْتِ

تناولت هذه الدراسة ظاهرة أسلوبية بلاغية طالما استرعت اهتمام النحاة، والبلاغيين، وعلماء التفسير لأهميتها في توجيه معاني الخطاب عموما، والخطاب القرآني خصوصا، وهي ظاهرة العدول التركيبي، وما لها من أثر بالغ في تحديد الدلالات والمقاصد القرآنية، من خلال الخروج عن المواضع النحوية المعهودة في الجملة العربية، بالتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والفصل والوصل... وما إلى ذلك من الخصائص التركيبية التي تناولتها البلاغة ضمن علم المعاني، ليفضي ذلك العدول إلى معان جليلة ولطائف بديعة في كتاب الله، المعجز ببيانه ونظمه، وذلك ما نسعى إلى الكشف عن بعض أسرار هذه الدراسة، للوقوف على بلاغة الخطاب القرآني ومقاصده، وبعض أسرار إعجازه، من خلال مظهرين من مظاهر هذا العدول وهما التقديم والتأخير، والحذف. وذلك باعتماد بعض التفاسير التي أولت عناية بالبيان القرآني أهمها كتاب التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور.

كلمات مفتاحية: القرآن الكريم، العدول، التركيب، البلاغة، الخطاب.

Abstract:

This study deals with a rhetorical stylistic phenomenon that has always attracted the attention of grammarians, rhetoricians, and exegetes for its importance in directing the meanings of discourse in general and Quranic discourse in particular, which is the phenomenon of structural deviation and its profound impact in determining the connotations and objectives of the Quran, through departing from the usual grammatical rules in the Arabic sentence, by anastrophe, deleting

and mentioning, separating and joining... and other structural characteristics that rhetoric has dealt within the science of semantics, so that this deviation leads to sublime meanings and beautiful subtleties in the Book of God, which is miraculous in its statement and organization, and this is what we seek to reveal some of its secrets through this study, to clarify the eloquence of Quranic discourse and its objectives and some of the secrets of its miraculousness, through two aspects of this deviation, which are anastrophe, and deletion, by relying on some interpretations that paid attention to Quranic rhetoric, the most important of which is the book of Al-Tahrir and Al-Tanwir by Al-Taher bin Ashour.

Keywords: The Holy Quran; Deviation; syntax; Rhetoric; Discourse;.

1. مقدمة:

لقد كان العرب أمة بيان، وفصاحة لسان، ومع كل ما بلغوه من شأو في ذلك، إلا أنهم وقفوا عاجزين أمام بلاغة القرآن الكريم، وانبهروا ببيانه ونظمه، فهم وإن ارتقوا مدارج البلاغة باعتبارهم أساطين البيان، وتغننوا في ضروب الفصاحة لعقود من الزمان، إلا أن القرآن الكريم جاء بأعلى درجات البلاغة والبيان، وأعجزهم أن يأتوا بسورة من مثله.

لذا فقد كان القرآن الكريم و ما يزال، بإعجاز بيانه، وعلو مقامه، وإحكام نظمته، خالدا على مر الأزمان، لا يخلق على كثرة الرد، ولا يبلى بطول العهد، وسيبقى إعجاز نظمته قبلة اهتمام الباحثين اللغويين، والبلاغيين، وعلماء التفسير وغيرهم، فتراكيب القرآن الكريم اتسمت بخصائص ميزتها عن تراكيب الكلام العادي، فهي تحمل من الأسرار مالا يستدرك كنهه، إلا بإنعام النظر والتدبر في مقاصده الجليلة فالكثير من هذه التراكيب سيق وفق نسق معين دون غيره، من تقديم وتأخير، و حذف وذكر، و تعريف وتنكير... لتوافق المعاني مقاصد الخطاب، مما يثبت يوما بعد يوم إعجاز هذا الكتاب الحكيم الذي لا تنضب عجائبه، ولا تنقضي أسرار.

و لعل هذا ما شد انتباهنا، واسترعى اهتمامنا، في هذه الورقات البحثية الموسومة ب:

" العدول التركيبي وأثره في الخطاب القرآني. والتي حاولنا من خلالها استكناه بعض أسرار البيان القرآني، والغوص في معانيه الجليلة، ولطائفه البديعة، وذلك باقفاء آثار هذه الظاهرة الأسلوبية

البلاغية وما تشي به من معان ثوان، وما تفضي إليه من نكت بلاغية، ومقاصد ربانية، أرادها المشرع الحكيم في محكم التنزيل. فما هو العدول التركيبي ؟ وما مدى أثره في توجيه المعاني القرآنية وتحديد دلالات الخطاب القرآني ومقاصده؟ وما مدى أثره في قوة الخطاب و بلاغة القول؟

ولما كان موضوع البحث متشعب الأطراف، واسع المباحث، ذو منازع كثيرة، فقد انتقينا مظهرين من مظاهر العدول التركيبي، وهما التقديم والتأخير، والحذف، وقمنا بتعريف كل منهما لغة واصطلاحاً، ثم تطرقنا إلى أشكاهما، مع إيراد الأغراض البلاغية التي يهدفان إليها وفق سياق ورودها، لنشفع ذلك بجانب تطبيقي تناولنا فيه بعض الآيات التي تمثل لهذه الظاهرة، وما ترمي إليه من أغراض بلاغية توجه معاني الخطاب القرآني وتكشف النقاب عن الكثير من لطائفه.

وقد اعتمدنا في ذلك بعض كتب التفسير التي اعتنت بالجانب البياني في تفسيرها، كتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، وذلك لأننا لمسنا في تفسيره احتفاءً البالغ بالجانب البلاغي، وهو ما صرح به في مقدمته قائلاً: "ولقد اهتمت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز و نكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال"¹. إلى جانب تفاسير أخرى كتفسير الكشاف للزمخشري، وغيرها. كما انتهجنا في سبيل ذلك، المنهج الاستقرائي التحليلي، لملاءمته لطبيعة البحث، بدءاً باستقراء عدد من النماذج القرآنية التي تمثل هذه الظاهرة الأسلوبية، وصولاً إلى تحليلها وتفسيرها لبلوغ ما ترمي إليه من مقاصد ومعان، وقد قسمنا البحث إلى مراحل للخلوص إلى نتائج لخصناها في الخاتمة.

2. تعريف العدول:

تعددت المصطلحات الدالة على مفهوم العدول في استعمالات الباحثين اللغويين و البلاغيين قديماً وحديثاً ومنها: الالتفات، الصرف، الانزياح ، التحول، النقل، الانحراف، الخروج... إلا أن مصطلح العدول أكثرها شيوعاً و ملاءمة للمعنى وهو يشملها جميعاً، وأنسبها لكتاب الله.

العدول لغة:

جاء في لسان العرب: "وعدل عن الشيء يعدل عدلا وعدولا: حاد، وعن الطريق: جار، وعدل إليه عدولا: رجع، وما له معدل ولا معدول: أي مصرف. وعدل الطريق: أي مال... والعدل: أن تعدل الشيء عن وجهه، تقول: عدلت فلانا عن طريقه، وعدلت الدابة إلى موضع كذا..."² وفي هذا التعريف معنى التحويل والنقل من جهة إلى جهة. و في المعجم الوسيط: "عدل عدلا وعدولا: مال، و يقال: عدل عن الطريق: حاد، وعدل إليه: رجع"³. وتفضي هذه المعاني اللغوية في عمومها إلى معنى الخروج والحياد عن المؤلف.

العدول اصطلاحا:

العدول في الاصطلاح هو الخروج عن الاستعمال اللغوي المعهود، أو الحياد عن الأصل المتواضع عليه، وفي البلاغة يسمى مخالفة الكلام لمقتضى الظاهر. وهو أسلوب بلاغي بديع يمنح المتكلم اتساعا في فنون القول، ومجالا أرحب لبث مقاصده و معانيه وفق ما يعتلج في نفسه ويمليه مقام الخطاب. و لقد عرف العرب هذا الأسلوب في القول نثرا وشعرا و أدركوا أنه قمة البلاغة والبيان. وقد عُرف مصطلح العدول في التراث اللغوي العربي، ففي المثل السائر لابن الأثير في باب الالتفات يقول: "واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك".⁴

ويتناول العدول مستويات اللغة؛ الصوتي والصرفي والتركيب، فيكون العدول من ضمير إلى ضمير أو من صيغة إلى صيغة أو من تركيب إلى تركيب، وقد استعمل الشعراء منذ الجاهلية هذا الأسلوب البليغ في قصائدهم بل كان أحد ركائزها، ليسلكوا بها سبل البيان، وبلاغة القول وحسن الأثر. ومثل ذلك في التقديم والتأخير قول امرئ القيس:

وُقُوفًا بِمَا صَحِيَّ عَلَيَّ مَطِيبُهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَحْمَلْ

إذا فالعدول هو انحراف عن المؤلف و"ضرب من التصرف وفيه إخراج للأصل عن بابه إلى الفرع"⁵ و نعني بالأصل (أصل الوضع) وهو اسم جامع تواضع عليه النحاة بعد أن لاحظوا ما يطرأ على الكلمة من تغيرات في صورها عند تصريفها مع الضمائر، أو حين تثنيها أو جمعها أو تصغيرها، فوضعوا لها أصلا جامعا، تخرج عنه بهذه التصريفات، وكذلك كان الشأن ذاته مع الجملة لما لاحظوا ما يطرأ عليها من تغيرات في أنماط تركيبها بالتقديم والتأخير، والحذف والزيادة، والإظهار والإضممار والاستتار وضعوا لها أصلا في الوضع.⁶

ويعرفه الزركشي بأنه نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية للسامع وتحديدًا لنشاطه وصيانة لخطره عن الملل والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سماعه⁷ والعدول دليل اقتدار في الكلام، إذ يسميه ابن جني بشجاعة العربية، لما يتضمنه هذا الأسلوب البليغ من شجاعة وإقدام على الخروج عن النمط المؤلف، فاللغة العربية تتفرد عن سائر اللغات بهذا الإقدام، وتتخذ مطية لبلوغ أعلى مراتب الكلام بلاغة وبيانًا، لتقرير الكثير من المعاني اللطيفة، وهذا التفرد من ضمن الخصائص التي جعلتها وعاء لكتاب الله وخطابه للبشرية جمعاء، فزادها ذلك شرفًا ومنزلة.

3. العدول التركيبي في القرآن الكريم:

نعني بالعدول التركيبي الخروج عن المواضع النحوية للجملة العربية، كالتصرف في الرتب غير المحفوظة تقديمًا وتأخيرًا، أو حذف بعض أجزاء التركيب مع وجود قرينة دالة على المعنى، وهذا الأسلوب المعدول إليه يأتي استجابة لمقاصد كلامية، ومقامات خطابية معينة تستدعي وجوده بصيغة معينة دون غيرها. و هو أسلوب عهدته العرب في كلامها واعتبروه من بلاغة القول.

قد تشي كلمة العدول بمعاني الخروج عن نظام اللغة العربية وخرق لسننها، و الحياد عما تواضع عليه نحاتها، بما يشد عن قواعدها وسمتها الذي نهجوه، إلا أن هذا المعنى سقيم إذا علمنا أن العدول في اللغة هو قمة بلاغتها، سواء كان عدولا صوتيا أو صرفيا أو تركيبيا .

والعدول التركيبي في النص القرآني ليس خرقاً لهذه المواضع التي سنّها النحاة العرب، إنما هو خروج عن القياس النحوي لا الواقع الاستعمالي للنص القرآني، فالعدول هو نظام العربية نفسه في أعلى درجاته الإبداعية البلاغية، ليؤدي معان لا تتأتى إلا في ضوء أنظمة اللغة العربية، الصرفي والنحوي والبلاغي... وهو وجه من أوجه إعجاز القرآن الكريم⁸. وقد تنبه العلماء العرب منذ القديم إلى أهمية فهم طرائق العربية في تراكيبها، وما تفضي إليه من أسرار بلاغية، وذلك لفهم مقاصد الخطاب القرآني فهما صحيحاً. " لأن القرآن الكريم يتضمن من المعاني ما يحتاج إليه الناس في كل زمان ومكان، وإن بلاغة التركيب التي تعد من أبرز سماته لمي ميدان خصب لاستمرارية عطاء القرآن دون نفاد، ومن دون شك فإن اللسان العربي يطاوع بشكل كبير في تحقيق هذه المهمة من حيث القدرة الهائلة على تكثيف المغازي ورصد الدروس والعبر..."⁹.

كما أن المتصدي لتفسير القرآن لا يعد تفسيره بالغاً حد الكمال في غرضه ما لم يكن تفسيره لأي الذكر مشتملاً على بيان دقائقه البلاغية وخصائصه البيانية، فهو بحاجة إلى بيان ما يشتمله القرآن من طرق استعمال كلام العرب وخصائصه البلاغية، وما امتاز به القرآن على هذه الطرق من ارتقائه أعلى درجات البلاغة، وإن لم يكن المفسر محيطة بهذه الأساليب البلاغية فإن تفسيره لا يعدو أن يكون بمنزلة الترجمة لا التفسير¹⁰.

4. أشكال العدول التركيبي في القرآن الكريم وأغراضه:

1,2 أشكاله:

الأصل في الجملة العربية المتواضع عليها من قبل النحاة أن تتكون من طرفي إسناد، هما عمدة الجملة ولا تقوم إلا بهما، وهما في الجملة الاسمية المبتدأ والخبر، وفي الجملة الفعلية الفعل والفاعل أو نائب الفاعل، والأصل في الجملة كذلك الرتبة فإذا عدل عنها إلى التقديم والتأخير وجب الإفادة و أمن اللبس، والأصل الذكر فإذا عدل عنه إلى الحذف استوجب ذلك تقدير المحذوف، والأصل الإظهار

فإذا أضمّر أحد الطرفين وجب تفسيره، والأصل الوصل فإذا عدل عنه للفصل وجب توضيحه، والأصل بصفة عامة الإفادة فإذا غاب هذا الشرط فلا جملة¹¹.

والعدول التركيبي هو خروج عن الأصل وله أشكال و مظاهر يتجلى فيها ترد في سياق الكلام، تقدماً وتأخيراً، حذفاً وذكرًا، تعريفًا وتنكيرًا، فصلاً ووصلاً، إضماراً وإظهاراً... وفق أغراض محددة يحكمها سياق المقال والحال. أو مقتضى الحال كما يسميه البلاغيون "فإن مقامات الكلام متفاوتة؛ فمقام التنكير يبين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يبين مقام التقييد، ومقام التقديم يبين مقام التأخير، ومقام الذكر يبين مقام الحذف، ومقام القصر يبين مقام خلافه، ومقام الفصل يبين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يبين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يبين خطاب الغبي وكذلك لكل كلمة مع صاحبها مقام"¹² فالمقامات الخطابية تختلف وكذا الأغراض، وتبعاً لها تتحدد أنماط التركيب. وكما تتنوع أشكال العدول التركيبي في القرآن الكريم تتنوع أغراضه وفق مقاصد التنزيل، وسياقات الخطاب.

2,2 أغراضه :

العدول انتقال من أسلوب إلى أسلوب وهذا الانتقال يدفع السأمة عن نفس المتلقي، ويلفت انتباهه من حين لآخر، لينبهه إلى معان مقصودة، ويستوقفه عند محطات للتأمل والتدبر فيعمل فكره ويستحضر جنانه، خصوصاً في القرآن الكريم، لأن الكلام كما يقول الزمخشري: "إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفرائد"¹³. ويرى ابن الأثير رداً على قول الزمخشري أن الغرض من هذا النمط الأسلوبى لا يكون مجرد إثارة المخاطب وتنبيهه، وإنما هو لتقرير معنى مقصود، وهذا المعنى متشعب لا ينحصر، وإنما يتحدد حسب الموضع الذي يرد فيه¹⁴.

إضافة إلى أغراض بلاغية كثيرة تترتب معانيها في النفس قبل أن تترتب في النظم، وفي ذلك يقول الجرجاني: "وفي ثبوت هذا الأصل ما تعلم به أن المعنى الذي كانت له هذه الكلم بيت شعر أو

فصل خطاب هو ترتيبها على طريقة معلومة، وحصولها على صورة من التأليف مخصوصة، وهذا الحكم _ أعني الاختصاص في الترتيب _ يقع في الألفاظ مرتبا على المعاني المرتبة في النفس، المنتظمة فيها على قضية العقل، ولا يُتصوّر في الألفاظ وجوب تقديم وتأخير، وتخصّص في ترتيب وتنزيل وعلى ذلك وضعت المراتب والمنازل في الجمل المرتبة، وأقسام الكلام المدونة، فقليل: من حق هذا أن يسبق ذلك، ومن حق ما ههنا أن يقع هنالك، كما قيل في المبتدأ والخبر والمفعول والفاعل¹⁵.

و للسياق دور عظيم في تحديد الدلالات وكشف الأغراض من وراء هذا العدول، خصوصا ما كان في الآيات المتشابهة التي اختلفت في تقديم وتأخير، أو حذف وذكر، أو تعريف وتنكير... سواء كان سياق الآية، أو سياق المقطع، أو سياق السورة، أو سياق القرآن ككل. فالقرآن يفسر بعضه بعضا. و من هذه الأغراض؛ التخصيص، التعظيم، التحقير، التشريف...

5. نماذج من العدول التركيبي في القرآن الكريم:

1,5 التقديم والتأخير :

التقديم لغة: ورد في لسان العرب في تعريف مادة (قدم) : "مقدمة كل شيء أوله، ومقدم كل شيء نقيض مؤخره... و مُقَدِّمُ العين: ما ولي الأنف... والمقدمة ما استقبلك من الجهة والعينين والناصية... ومن أسماء الله تعالى المقدم الذي يقدم الأشياء ويضعها في مواضعها"¹⁶

التأخير لغة: " والتأخير ضد التقديم، ومؤخر كل شيء بالتشديد : خلاف مُقَدِّمه. يقال ضرب مُقَدِّم رأسه ومؤخِّره..."¹⁷

اصطلاحا: يعدّ التقديم والتأخير ظاهرة نحوية بلاغية، وهو مظهر من مظاهر العدول التركيبي وشكل من أشكاله، يتناول أركان الجملة تقدما وتأخيرا لأغراض بلاغية، ومقاصد خطابية، تتحدد من خلال السياق، ومعانيها تترتب في النفس ثم تترتب في النظم. وهو كما يعرفه الجرجاني : "باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويُفضي بك إلى لطيفة، ولا

تزال ترى شعرا يروك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدّم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان¹⁸.

فالتقديم والتأخير أسلوب بلاغي له دقائق فريدة ونكت عجيبة لا يكاد يحاط بها، تزيد الكلام رونقا وبياناً، وهو أحد مباحث علم المعاني، الذي هو أحد ركائز التفسير، ولا قبل لمفسر القرآن بفهم معاني آياته والتصدي لتفسيرها إلا بالإحاطة بهذا العلم، وقد ورد أسلوب التقديم والتأخير في القرآن كثيراً، ومن أمثلة التقديم والتأخير، تقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم المفعول على الفاعل، كل ذلك لأغراض معينة.

2,5 أشكال التقديم في القرآن الكريم و أغراضها:

1,2,5 تقديم الخبر على المبتدأ:

الأصل في الجملة الاسمية أن يرد فيها المبتدأ أولاً ثم يليه الخبر، لكن قد يحيد نمط الجملة عن هذا الترتيب فيتقدم الخبر لأغراض بلاغية، كالتخصيص والتعظيم والشريف و الاهتمام...

التخصيص:

مثل قوله تعالى: "لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" (الشورى/12) تقدم الخبر وهو شبه جملة (له) على المبتدأ المعرف بالإضافة (مقاليد السموات) جوازا، ليفضي إلى معنى بلاغي لطيف و هو (التخصيص). أي تخصيص الله بامتلاك أسباب الرزق في السماء و الأرض، أي هي ملكه لا ملك غيره. والمقاليد أي المفاتيح هنا استعارة مكنية لخيرات السموات والأرض، فالخيرات شبهت بالكنوز، فحذف المشبه وبقيت قرينة دالة عليه وهي المقاليد . والمعنى البلاغي اللطيف الذي يملبه تقديم الخبر على المبتدأ، أن الله وحده جل جلاله المتصرف بما ينفع الناس من الخيرات، ولا اعتداد بما يظهر من تصرف بعض الناس في الخيرات الأرضية بالعتاء أو الحرمان فكله بيد الله¹⁹.

الاهتمام :

مثل قوله تعالى: "لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ" (الرعد/18). تقدم ذكر المسند وهو الخبر (للذين استجابوا) على المسند إليه وهو المبتدأ (الحسنى)، لأنه يتكلم عن المؤمنين، مناط الاهتمام والذكر، تنبيها لمكانتهم، واهتماما بشأنهم، فالغرض هنا التنويه بمكانتهم وما أعد لهم من جزاء يوم القيامة. فتضمن هذا التقديم والتأخير لطيفة بلاغية، إلا أن نظم الكلام حين تعلق بالمشركون بقي على أصله و نسقه المألوف دون تقديم أو تأخير، وذلك في قوله: (والذين لم يستجيبوا) فقد ورد المبتدأ أولا وهو (الذين) ثم ورد الخبر ثانيا وهو جملة من مبتدأ ثان وخبره في محل خبر المبتدأ الأول (لهم سوء الحساب)، وفي هذا الترتيب معنى بلاغي لطيف، وهو عدم الاكتراث بشأنهم وتحقيرا لهم²⁰. فما أجل معاني القرآن، وما أروع بيانه.

التشويق:

مثل قوله تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ" (لقمان/6). تقدم المسند وهو الخبر شبه الجملة (من الناس) على المسند إليه المبتدأ وهو الاسم الموصول (من) لتشويق السامع إلى سماع خبر ذلك الذي شغل الناس عن سماع آيات الذكر، وصددهم عن الهداية، ويعني به النضر بن حارث وأشياعه، فقد كان يشتغل برواية أحاديث اللهو وقصص الملوك على مسامع قريش، ليشغلهم عن سماع القرآن الكريم والاهتداء بهديه فبيّن القرآن فظاعة فعله وجرم صنيعه، وتوعده وأتباعه بالعذاب الشديد.²¹

2,2,5 تقديم المفعول به على الفاعل:

الأصل في الجملة الفعلية أن تتكون من فعل وفاعل ومفعول، إلا أن المفعول قد يتقدم على فاعله لأغراض بلاغية تفهم من السياق، ويحددها اللفظ تقدما وتأخيرا، وأكثر الأغراض التي يقدم

لأجلها المعمول هي التخصيص والحصر، وهو أكثرها وروداً في القرآن الكريم، ولا يتنافى الاهتمام مع التخصيص، وتأتي أغراض أخرى كالتعظيم، التشريف...

التخصيص :

مثل قوله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" (الفاتحة/5)، تقدم المعمول المتمثل في ضمير الفصل (إِيَّاكَ) على عامله (نعبد، نستعين)، والغرض البلاغي من هذا التقديم التخصيص والحصر، أي نخصك بالعبادة، فلا نعبد غيرك، ونخصك بالاستعانة فلا نستعين بسواك. ثم هناك موضع آخر للتقديم والتأخير بين (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) و (إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) وفي ذلك لطيفة بلاغية، وهو كون العبادة تقرب للخالق والاستعانة نفع للمخلوق، فكان أجدر تقديم ما للخالق على ما للمخلوق، كما أن الاستعانة لا تتأتى إلا من معبود، لأن العبادة سبيل الاستعانة، بالإضافة إلى هذه المعاني البلاغية هناك غرض في تقديم (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) على (إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) وهو تناسب فواصل السورة المبنية على الحرف الساكن المتماثل أو القريب في مخرج اللسان²².

التشريف:

في قوله تعالى: "وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ" (البقرة/124)، لما كان مقام إبراهيم عليه السلام عند الله عظيم، ومنزلته رفيعة، فقد أُعلى شأنه في سياق الخطاب القرآني، من خلال هذه الآية وذلك بتقديم ذكره، إذ تقدم المفعول وهو لفظ "إبراهيم" على الفاعل (رب) لأن المقصود تشريف إبراهيم والاهتمام به، وقد جعله إماماً للناس يقتدى به، فكان من جراء هذا التقديم اتصال الضمير العائد على سيدنا إبراهيم بكلمة "رب" وفي تلك الإضافة منتهى التشريف في لفظ وجيز. لذلك عدل الخطاب عن أصل الوضع فلم يقل وإذ (ابتلى الله إبراهيم)²³. إذ لو وردت الجملة على أصل وضعها لما كان هناك فضل معنى.

3,2,5 تقديم جملة على جملة: تعجيل المسرة:

مثل قوله تعالى: "عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهْمَ" (التوبة/43) تقدمت جملة (عفا الله عنك) وهي بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بالعفو، على جملة (لم أذنت لهم) وفيها عتاب له، وتقدير القول (لم أذنت لهم عفا الله عنك)، وتقدمت البشارة في الخطاب تعجيلا لمسرته وطمأنة لقلبه وإظهارا لمكانته، ثم تلاها العتاب على إذنه للمنافقين بالقعود عن القتال، ولو تقدم العتاب على العفو لما بلغ المراد "وافتح العتاب بالإعلام بالعفو إكرام عظيم، ولطافة شريفة، فأخبره بالعفو قبل أن يباشره بالعتاب لأنه بمنزلة أن يقال: "ما كان ينبغي، وتسمية الصفح عن ذلك عفوا"²⁴. فأى بيان وبلاغة أحدثتها هذه الآية تقديمًا وتأخيرًا، وأي جرعة حب واطمئنان حوتها وهي تُرَبِّت على قلبه الشريف لتهدئ من روعه، فتبادره بالعفو والقرب، ثم تبته ذلك العتاب في لطافة ليس لها مثيل.

4,2,5 ما قدم في آية وآخر في آية أخرى:

ونعني به ما ورد في الآيات المتشابهات التي قدم فيها لفظ في إحداها وأُخِّر في أخرى، فيكون السياق حكما في تحديد الدلالات وتوجيه المعاني والأغراض لكل آية. وهذا التشابه بالتقديم والتأخير كثير الورود في آيات الذكر. يقول الخطيب الإسكافي: "إن أورد الحكيم تقدست أسماؤه آية على لفظة مخصوصة ثم أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غيّر لفظة على ما كانت عليه في الأول فلا بد من حكمة تُطلب، وإن أدركتموها فقد ظفرت، وإن لم تدركوها فليس لأنه لا حكمة هناك، بل جهلتم"²⁵. ويدخل هذا الصنف من الآيات ضمن المتشابه الذي استفاد المفسرون وعلماء اللغة في تبیان دقائق فروقه.

مثل قوله تعالى: " (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا " (النساء/ 135).

وقوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ " (المائدة/8).

جاء في الآية الأولى (كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ) وفي الثانية (كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ)، وأورد ابن عاشور أن هذا الاختلاف بين الآيتين المتشابهتين تقديمًا وتأخيرًا، جاء لاختلاف المعنى المتضمن في كل منهما، فكان في الأولى التركيز على إقامة القسط وهو العدل، وذلك ما يتناسب مع سياق الآية إذ وردت بعد آيات القضاء في الحقوق، مثل قوله تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ" وقوله: "وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا" ثم تعرضت لأحكام المعاملة بين الرجال والنساء، فكان الأهم تبعًا لهذا السياق تقديم ذكر إقامة القسط أي العدل. أما في الآية الثانية من سورة المائدة فقد تقدم الأمر بالقيام لله، أي الوفاء له بعهودهم له، وذلك لمناسبتها لسياق الآية، لما ورد قبلها من التذكير بميثاق الله، في قوله تعالى: "وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ".²⁶

3,5 الحذف:

الحذف لغة: ورد في لسان العرب: "حَذَفَ الشيء يحذفه حذفاً: قطعهُ من طرفه... والحذف ما حذف من شيء فطرح"²⁷ ويشي هذا المعنى اللغوي بإسقاط جزء من الشيء واقتطاعه .

الحذف اصطلاحاً: هو مظهر آخر من مظاهر العدول التركيبي، و الحذف خلاف الذكر الذي هو أصل الوضع في الجملة، والحذف من الأساليب البلاغية التي تزيد الكلام قوة وبياناً، يقول عنه الجرجاني: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين".²⁸ فالحذف فيما ذهب إليه الجرجاني أقوى من الذكر في مذهب الفصاحة، وأعلى منه في مراتب البيان، وأكثر وقعاً وتأثيراً في نفوس المخاطبين وذلك لبلاغة إيجازه.

وقد عهدت العرب في كلامها الإيجاز وجعلته قمة البلاغة، فقالوا: "البلاغة الإيجاز" أي "إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ"²⁹ لذا كان في الحذف بلاغة وبيان، إذ يترك المحذوف سعة في تصور المعنى لدى المخاطب بأقل الألفاظ، حتى يذهب في تصور ذلك المعنى كل مذهب، والغرض من الحذف طلب الخفة ودفع الملل عن المتلقي، واستثارة فكره، وتقرير الكثير من المعاني بأقل قدر من المباني، كما أن له أغراضا أخرى تفهم من خلال السياق، كالتعظيم، والتحقيق، والتفخيم، والاهتمام وغيرها من الأغراض البلاغية، شريطة أن لا يؤدي ما حذف إلى لبس في المعنى، أو تشويش في الفهم، لذا يشترط وجود قرينة لفظية أو حالية دالة على المحذوف.

1,3,5 أشكال الحذف في القرآن الكريم وأغراضه :

ورد أسلوب الحذف في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ذهب ابن جني إلى أنها تقارب ألف موضع. وعده من شجاعة العربية. وتعدد أشكال الحذف في القرآن الكريم كما تتنوع أغراضها وفق سياقات ورودها، ومن هذه الأشكال، حذف حرف، وحذف كلمة، وحذف جملة وحذف جمل.

أ. حذف حرف:

الحذف في القرآن الكريم لا يرد اعتباطا، فقد يحذف من الكلمة حرف في موضع ويترك في موضع آخر، كل ذلك لغرض، ومثال ذلك ما يحذف من الفعل للدلالة على أن الفعل أقل شدة أو أقل استغراقا في زمن حدوثه، كما يحذف منه في مقام الإيجاز ولا يحذف منه في مقام التفصيل³⁰. ومثال ذلك قوله تعالى: "فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا" (الكهف/97).

ورد في الآية الكريمة فعل (استطاعوا) مكررا مرتين، إلا أنه في الموضع الأول حذفت منه التاء وفي الموضع الثاني وردت فيه، وفي ذلك ملمح بلاغي بديع كما يوضح فاضل السامرائي، فكل زيادة في المبني زيادة في المعنى، إذ لما كان نقب السد أقوى من تسلقه وأشد مشقة، ناسب ذلك أن يرد الفعل في الموضع الثاني بتاء وفي الموضع الأول بدون تاء³¹.

ب. حذف كلمة:

الأصل في الجملة أن تتكون من ركنين أساسيين وهما المسند (الفعل والخبر ونحوهما) والمسند إليه (الفاعل والمبتدأ ونحوهما) والأصل فيهما أن يذكرأ ولكن قد يرد الحذف لأغراض بلاغية و مقاصد خطابية، مع شرط وجود قرائن حالية أو مقالية تدل على المحذوف من خلال السياق، مما يدفع الوهم عن المتلقي ويزيل اللبس.ومثل ذلك:

حذف الفعل :

مثل قوله تعالى: " فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا " (الشمس/7)، حذف الفعل من الجملة وتقديره (احذروا) وهو تحذير لقوم صالح الذين كانوا يضمرون الأذى لنبي الله عليه السلام وناقته، وانتصبت (ناقَةَ الله) على التحذير، والتقدير(احذروا ناقة الله) أي التحذير من إصابتها بأذى يوم موردها أو صدها عن السقي.³² وفي هذا الحذف لطيفة بلاغية، وهي بلاغة إيجاز إذ لما كان المقام مقام تحذير، أوجز اللفظ تماشياً مع سياق الحال. لضيق المقام عن إطالة الكلام، والموقف يستدعي الإيجاز في القول.وكذلك في حذف العامل (احذروا) "ضيق الحال عن ذكره لعظم الهول وسرعة التعذيب عند مسها بالأذى ، وزاد في التعظيم إضافة ناقة إلى لفظ الجلالة (ناقة الله) أي الملك الأعظم الذي له الجبروت كله فلا يقر من انتهك حرمة واجترأ على ما أضافه إليه³³ ".

حذف الفاعل:

قد يحذف الفاعل وهو أحد ركني الإسناد في الجملة الفعلية لأغراض كثيرة منها:علم المخاطب به: مثل قوله تعالى: "كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ" (القيامة/26)، إذ حذف المسند إليه و هو الفاعل، وسياق الحديث عن الموت، ولا يبلغ التراقي إلا (الروح)، أي إذا بلغت الروح أو النفس التراقي، فضمير (بلغت) يعود إلى غير مذكور لكنه معلوم من السياق، و كذلك من كلمة (التراقي)، وهذا التقدير في معنى المحذوف يدل عليه الضمير الذي أسند إليه الفعل (بلغت)، وهذا وارد في عرف كلام العرب.ومنه قول حاتم الطائي مخاطباً زوجته:

أماويٍّ ما يغني الشراء عن الفتى إذا حشرجت وضاق بها الصدرُ

والمعنى أي إذا حشرجت الروح، ومن أساليب العرب في الحذف والإيجاز قولهم: (أرسلت) ويعنون بذلك (أرسلت السماء المطر)³⁴ فحذف الفاعل لعلم المخاطب به، ونظير ذلك قوله تعالى: "حتى توارت بالحجاب" (ص/32) وقوله تعالى: "فلولا إذا بلغت الحلقوم" (الواقعة: 83). وفي حذف كلمة (الروح) معنى بلاغي لطيف، فحذفها في سياق المقال يوحي بحذفها في سياق الحال.

حذف المفعول: قد يحذف المفعول في مواضع كثيرة لأغراض كثيرة منها:

التعميم وتوسيع الدلالة:

مثل قوله تعالى: "فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى، وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى" (القيامة، 31، 32) حذف مفعول صدَّق، ومفعول كَذَّب، وفي ذلك لطيفة بلاغية، إذ يمنح المتلقي فسحة في تصور المعاني الممكنة للمحذوف، فيكون المعنى أشمل، فقوله تعالى (فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى) أي فلم يؤمن بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يسلم، وقوله (وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) أي كَذَّب القرآن والرسول وبالبعث، وأعرض عن الاستجابة لنهج الإسلام ودعوته.³⁵ ونظير هذا الحذف ما ورد في قوله تعالى: "فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى" (الليل/10)، فقد حذف في هذه الآية مفعولي (أعطى) و(اتقى) وفي ذلك معنى لطيف يستدعي التدبر، ففي الحذف مجال للمخاطب أن يتصور المحذوف وتذهب نفسه في تقديره كل مذهب في العطاء، بأن يكون صدقة أو زكاة أو معونة أو دعاء أو مواساة، أو كل هذه المعاني. وأن يكون المتقى منه: الله جل جلاله، أو عذاب النار أو جهنم، أو عذاب القبر أو كل هذه المعاني مجتمعة .

إثبات حدوث الفعل للفاعل :

و هو أن يذكر الفعل والفاعل ويحذف المفعول لدلالة السياق عليه، وذلك بغرض إثبات الفعل للفاعل لأن هذا الإثبات هو محط الاهتمام ومقصد الخطاب. مثل قوله تعالى: "وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا" (النجم/43، 44) حذف المعمول هنا لغرض بلاغي وهو

إثبات القيام بالفعل للفاعل وهو الله عز وجل، فهو المتصرف الأوحـد في شؤون البشر والكون كله، فهو يُضحك من يشاء، ويُبكي من يشاء، ويُميت من يشاء، ويُحيي من يشاء، بيده الأمر كله" فلم يذكر مفعول "أضحك وأبكي" لأن القصد إلى الفعلين لا إلى مفعوليهما، فالفعلان منزلان منزلة اللازم، أي أوجد الضحك والبكاء³⁶ ومثله في "أمات و أحيا."

ج. حذف جملة:

يرد في القرآن كثيرا حذف الجملة من السياق الكلامي، وفي ذلك نكت بلاغية تشي بعظم المحذوف أو تفخيمه أو تهويله. وأكثر ما يرد هذا النوع من الحذف في حذف جملة جواب الشرط. لبيّن عظم وفخامة ما أُعدّ لأصحاب الجنة من نعيم، أو هول وفظاعة ما أُعدّ لأهل النار من عذاب. مثل قوله تعالى: "وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا" (الزمر/73). وردت جملة الشرط (جاؤوها) وحذف جواب الشرط و تقديره (سعدوا) " وإنما حذف لأنه في صفة ثواب أهل الجنة، فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف "³⁷. وأورد المبرد وغيره أن الواو عاطفة على جملة محذوف، وهي جواب (إذا) وتقديرها (سعدوا وفتحت) ، وحذف جواب الشرط عند العرب من بلاغة الإيجاز، و قد عهدوا هذا الأسلوب البليغ في أقوالهم. ومثل ذلك قول امرئ القيس من الطويل:

فلو أتما نفس تموت جميعاً ولكنها نفس تساقط أنفسا

فقد حذف جواب (لو) وتقديره في سياق الكلام (لكان أروح).³⁸ ونظائر هذا الحذف كثيرة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: "وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ" (البقرة/165). حذف جواب (لو) بغرض تهويل وتفخيم الأمر المحذوف حتى تذهب النفس في تصوره كل مذهب، وتقدير المحذوف (لرأيت أمرا عظيما أو لرأوا أمرا عظيما). وعادة ما يكون حذف جواب الشرط في مثل هذه المواضع أبلغ وأقوى دلالة من إيراده. ونظير ذلك قوله تعالى: "ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت" وقوله عز وجل: "ولو ترى إذ وقفوا على النار". وقوله

عز من قائل: "ولو أن قرآنا سيرت به الجبال"³⁹. فقد حذف جواب الشرط في كل هذه الجمل، لأنها وردت في مقام التهويل، ليبقى متلقي الخطاب مشدوها بتصور عظم المحذوف وهوله .

د. حذف مجمل:

ورد ذلك في القرآن كثيرا إيجازا في الكلام، وهو من بلاغة القرآن وإعجازه، فقد يحصل أن يحذف عدد من الجمل أو مقطع من السورة لدلالة السياق عليه، خصوصا في القصص القرآني، ومنه ما ورد في قصة سيدنا موسى عليه السلام، في قوله تعالى: "فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ" (24) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (25) ("القصص/24-25). فنلاحظ أن جزءا من القصة محذوف لكنه معلوم من خلال السياق، وتقدير القول: لما سقى موسى عليه السلام للفتاتين أغنامهما، رجعتا إلى والدهما وهما مسرورتين بما حدث معهما، وقصتا عليه ما كان من أمرهما مع سيدنا موسى، وموقفه النبيل معهما، وقوته وأمانته، وكيف سقى لهما بعد أن صدهم الناس عن سقي أغنامهما. فأكبر ذلك العمل في نفسه وأرسل إحداها لتدعوه إلى زيارته كي يكافئه ويكرمه على صنيعه.

ونظائر هذا الحذف كثيرة في القرآن الكريم منها ما ورد في قصة سيدنا يوسف في الحديث عن خلاصه من السجن، في قوله الله تعالى: "أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ" (يوسف/45) إلى قوله تعالى: "يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ" فالخطاب بالنداء مؤذن بقول محذوف في الكلام، وأنه من قول الذي نجا وادّكر بعد أمة، وحذف من الكلام ذكر إرساله ومشيه ووصوله، إذ لا غرض فيه من القصة، وهذا من بديع الإيجاز⁴⁰. وفي الأخير هذه بعض النماذج للتمثيل لبلاغة أسلوب العدول التركيبي في القرآن الكريم، ولا يتسع المقام لإيرادها جميعا فهي تتأبى على الحصر لكثرة الشواهد ووفرة المعاني.

6. خاتمة:

تناولنا في بحثنا هذا ظاهرة أسلوبية بلاغية، لها أثرها البين في توجيه معاني الخطاب القرآني وبيان مقاصده الجليلة، وهي ظاهرة العدول التركيبي، وما لها من أثر بالغ في بيان أسرار الإعجاز القرآني وبلاغته، ونظرا لاتساع رقعة البحث وتشعب مباحثه، فقد اكتفينا بإيراد مظهرين من مظاهر العدول التركيبي وهما الأكثر ورودا في القرآن الكريم، وهما أسلوبا (التقديم والتأخير) و(الحذف) واستشهدنا بنماذج قرآنية للتمثيل لهذه الظاهرة وخرجنا بنتائج منها:

-العدول التركيبي أسلوب بلاغي يتناول الجملة تقديمًا وتأخيرًا حذفًا وذكرًا فصلا و وصلا...وهو خروج عن أصل الوضع لا عن أصل الاستعمال، وقد عرف العرب هذا الأسلوب في كلامهم واعتبروه دلالة اقتدار، إلا أنه في القرآن الكريم أبلغ منزلة وأقوى بيانا، وقد شاع وروده في القرآن كثيرا.

-العدول التركيبي مسلك لبيان الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، وله دور عظيم في توجيه مقاصد الخطاب القرآني الذي لا تنتهي أسرار، ولا تسير أغواره، وهو لا يرد اعتباطا وإنما لأغراض مقصودة، ومعان مطلوبة، علمها من علمها وجهلها من جهلها.

-لقد تنبه العلماء وخصوصا علماء التفسير منذ القدم إلى ضرورة مراعاة خصائص التراكيب القرآنية وبحوثا في طرائق ورودها، للكشف عن الأسرار البيانية والأغراض البلاغية من وراء ذلك.

-على المتصدي لتفسير القرآن الكريم أو حتى المتدبر له الإحاطة بعلوم اللغة كلها، وخاصة علمي المعاني والبيان ، وإدراك خصائص التراكيب في العربية، لتحقيق الفهم الصحيح لأي الذكر والوقوف على معانيها اللطيفة و أسرارها البليغة.

- و في الأخير نوه بضرورة الاهتمام بربط الدراسات القرآنية بالدراسات اللغوية في أقسام العلوم الإسلامية، وأقسام اللغة، وجعل الثانية سبيلا لفهم الأولى، وعدم الفصل بينهما في التناول. و التأكيد على أهمية علوم اللغة ،خصوصا البلاغة والنحو في فهم مقاصد الخطاب القرآني، وهذه الملاحظة بناء على ما لاحظته أثناء تدريسي بقسم العلوم الإسلامية من ضعف عام لدى الطلبة في الجانب اللغوي، واعتقادهم بأن العلوم اللغوية عبء على العلوم الشرعية والعلوم القرآنية.

10. الهوامش:

- 1 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للطبع، 1984، ج1، ص 8.
- 2 ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، تح أمين محمد عبد الوهاب، بيروت- لبنان، ط1999، ج3، ص9، ص85.
- 3 المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مصر، مكتبة الشروق الدولية، 2004م، ط4، ص 588.
- 4 ابن الأثير، المثل السائر، تح محمد محي الدين عبد الحميد، ج2، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، 1411هـ، 1990م، ص12.
- 5 ابن جني، الخصائص، تح عبد الحميد هنداي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط3، 2008، ص 103.
- 6 تمام حسان، الأصول دراسة استمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة- مصر، 2000م، ص 115_122.
- 7 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، تح يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 1990م، ص380.
- 8 حسن منديل العكيلي، العدول والنظام البلاغي في أسلوب القرآن الكريم، شبكة النبا المعلوماتية.
- 9 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 93.
- 10 نفس المرجع، ج1، المقدمة العاشرة، ص 110.
- 11 تمام حسان، استمولوجية الأصول في اللغة، مرجع سابق، ص 121.
- 12 الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج1، تح. عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، ط1985، ص6، ص80.
- 13 الزمخشري جار الله، الكشاف، تح، عادل أحمد عبد الموجود، ج1، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998، ص 119، 120.
- 14 ابن الأثير، المثل السائر، مرجع سابق، ج 2، ص 4.
- 15 الجرجاني، أسرار البلاغة، تح محمود شاكر، دار المدني، جدة، ص5.
- 16 ابن منظور، لسان العرب، ج 11، ص 66.
- 17 لسان العرب، ابن منظور، ج 1، ص 87.
- 18 عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح. محمود محمد شاكر، ط3، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني جدة، 1992م، ص 106.
- 19 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 25، ص 49.
- 20 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 13، ص 122، 123.
- 21 ابن عاشور، ج 21، ص 141-143.
- 22 ينظر نفس المرجع، ج1، ص 183-186.
- 23 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 702.
- 24 نفس المرجع، ج 10، ص 211.
- 25 الخطيب الإسكافي، تحقيق محمد مصطفى أيدين، درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله، ص 11.
- 26 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 134، 135.
- 27 ابن منظور، لسان العرب، ج 3، ص 93.
- 28 عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 146.
- 29 ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1402هـ- 1982م، ص 214.
- 30 فاضل السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، العاتك لصناعة الكتاب، للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 2006، ص 9.
- 31 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 374.
- 32 نفس المرجع، ج 30، ص 374.
- 33 البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، ج 22، ص 81، 82.
- 34 نفس المرجع، ج 29، ص 357.
- 35 نفس المرجع، ج 29، ص 361.
- 36 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 27، ص 143.

³⁷ الزمخشري، الكشاف، ج 5، ص 325.

³⁸ تفسير القرآن وإعرابه ج 24، ص 298.

³⁹ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 2، ص 94، 95.

⁴⁰ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 12، ص 284.